

التحرير والتنوير

وقوله (وقل للذين أوتوا الكتاب والأمةين أسلمتم) إبطال لكونهم حاصلين على هذا المعنى فأما المشركون فبعدهم عنه أشد البعد ظاهر وأما النصارى فقد ألوهوا عيسى وجعلوا مريم صاحبة الله تعالى فهذا أصل لبطلان أن يكونوا أسلموا وجوههم الله ؛ لأنهم عبدوا مع الله غيره وصانعوا الأمم الحاكمة والملوك فأسسوا الدين على حسب ما يلذ لهم ويكسبهم الخطوة عندهم . وأما اليهود فإنهم وإن لم يشركوا بالله قد نقضوا أصول التقوى فسفهاوا الأنبياء وقتلوا بعضهم واستهزؤوا بدعوة الخير إلى الله وغيروا الأحكام اتباعا للهوى وكذبوا الرسل وقتلوا الأحرار فأنى يكون هؤلاء قد أسلموا الله وأكبر مبطل لذلك هو تكذيبهم محمدا A دون النظر في دلائل صدقه .

ثم إن قوله (فإن أسلموا فقد اهتدوا) معناه : فإن التزموا النزول إلى التحقق بمعنى أسلمت وجهي الله فقد اهتدوا ولم يبق إلا أن يتبعوك لتلقي ما تبلغهم عن الله ؛ لأن ذلك أول معاني إسلام الوجه الله وإن تولوا وأعرضوا عن قولك لهم : أسلمتم فليس عليكم من إعراضهم تبعة وإنما عليكم البلاغ فقوله (وإنما عليكم البلاغ) وقع موقع جواب الشرط وهو في المعنى علة الجواب فوقوعه موقع الجواب إيجاز بديع أي لا تحزن ولا تظن أن عدم اهتدائهم وخيبتك في تحصيل إسلامهم كان لتقصير منك ؛ إذ لم تبعث إلا للتبليغ لا لتحصيل اهتداء المبلغ إليهم . وقوله (والله بصير بالعباد) أي مطلع عليهم أتم الاطلاع فهو الذي يتولى جزاءهم وهو يعلم أنك بلغت ما أمرت به .

وقرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر (اتبعن) بإثبات ياء المتكلم في الوصل دون الوقف .
وقرأ يعقوب بإثباتها في الحاليين والباقيون بحذفها وصلا ووقفا .

(إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم [21] أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين [22]) استئناف لبيان بعض أحوال اليهود المنافية لإسلام الوجه الله فالمراد بأصحاب هذه الصلوات خصوص اليهود وهم قد عرفوا بمضمون هذه الصلوات في مواضع كثيرة من القرآن . والمناسبة : جريان الجدال مع النصارى وأن جعلوا جميعا في قرن قوله : (وقل للذين أوتوا الكتاب والأمةين أسلمتم) .

وجيء في هاته الصلوات بالأفعال المضارعة لتدل على استحضر الحالة الفطبيعة وليس المراد إفادة التجدد ؛ لأن ذلك وإن تأتى في قوله (يكفرون) لا يتأتى في قوله (ويقتلون) لأنهم قتلوا الأنبياء والذين يأمرون بالقسط في زمن مضى . والمراد من أصحاب هذه الصلوات يهود

العصر النبوي : لأنهم الذين توعدهم بعذاب أليم وإنما حمل هؤلاء تبعة أسلافهم لأنهم معتقدون سداد ما فعله أسلافهم الذين قتلوا زكريا لأنه حاول تخليص ابنه يحيى من القتل وقتلوا يحيى لإيمانه بعيسى وقتلوا النبي إرمياء بمصر وقتلوا حزقيال النبي لأجل توبيخه لهم على سوء أفعالهم وزعموا أنهم قتلوا عيسى عليه السلام فهود معدود عليهم بإقرارهم وإن كانوا كاذبين فيه وقتل منشأ ابن حزقيال ملك إسرائيل النبي أشعيا : نشره بالمنشار لأنه نهاه عن المنكر بمراى ومسمع من بني إسرائيل ولم يحموه فكان هذا القتل معدودا عليهم وكم قتلوا ممن يأمرهم بالقسط وكل تلك الجرائم معدودة عليهم ؛ لأنهم رضوا بها وألحوا في وقوعها .

وقوله (بغير حق) طرف مستقر في موضع الحال المؤكدة لمضمون جملة (يقتلون النبيين) إذ لا يكون قتل النبيين إلا بغير حق وليس له مفهوم لظهور عدم إرادة التقييد والاحتراز ؛ فإنه لا يقتل نبي بحق فذكر القيد في مثله لا إشكال عليه وإنما يجيء الإشكال في القيد الواقع في حيز النفي إذا لم يكن المقصود تسلط النفي عليه مثل قوله تعالى (لا يسألون الناس إلحافا) وقوله (ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) وقد تقدم في سورة البقرة .

والمقصود من هذه الحال زيادة تشويه فعلهم .